مستترة تحت لفظ واحد» ولم تثبت على اقتفاء خطى هذا التعريف، فإنها على كل حال كانت هكذا في كثير من الأحيان، وكانت مقاربة له في أحيان أُخَر، وكان التفسير باللغة والمقارنة بين الدلالات والأشكال والمقارنة بين الاستعمالات المختلفة، والسياقات المختلفة لكل منها، أدوات للبحث في كثير من مسائل المشكل، وإن ساندتها أدوات أخرى فإنها لا تلغي دورها.

يقول ابن قتيبة، في بحث دلالة «اهدنا» : «أصل (هدى) أرشد، كقوله عز وجل ﴿عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾[1] وقوله ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾[2] أي أرشدنا.

ثم يصير الإرشاد بمعان، كقوله تعالى : ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾[3] أي بيّنا لهم، وقوله ﴿أو لم يهد لهم كَم أهلكنا﴾[4] أي لم يبيّن لهم. ﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض﴾[5] أي يبين لهم، فالإرشاد في جميع هذا البيان.

ومنها الإرشاد بالإلهام، كقوله: «﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾[6]، أي ألهمه إتيان الأنثى، ويقال طلب المرعى وتوقي المهالك. وقوله ﴿الذي قدّر فهدى﴾[7] أي هدى الذكر بالإلهام لإتيان الأنثى. ومنها بالإمضاء، كقوله تعالى ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾[8]، أي لا يمضيه ولا ينفذه ويقال لا يصلحه، وبعض هذا قريبٌ من بعض»[9].

فابن قتيبة في قراءته هذه، لاستعمال لفظ (هدى) في القرآن، يتتبع المواضع، ويربط بين المعنى فيها وبين أصله اللغوي، ثم يعلق على عمله بنتيجة لا تخلو من تقويم للمادة التي درسها «وبعض هذا قريب من بعض».

وفي لفظ الضالّين كذلك يتقصّى الاستعمال القرآني مبينًا دقائق الفروق الدلالية الناتجة عن تباين السياقات، مضيفًا استعمالات عربية أخرى :

«ويقال أضلَّ القوم ميّتهُم، أي قبروه، وقال النابغة :

---

(١) القصص: ٢٢.
(٢) ص: ٢٢.
(٣) فصلت: ١٧ .
(٤) السجدة: ٢٦ .
(٥) الأعراف: ١٠٠ .
(٦) طه: ٥٠ .
(٧) الأعلى: ٣.
(٨) يوسف: ٥٢ .
(٩) ابن مطرف الكناني، القرطين، ج١، ص٤، ط١ مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٥٥هـ.